اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مجلة
المؤرخ العربى

تصدر عن
اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

العدد السادس المجلد الأول مارس ١٩٩٨

الراهب الفرنسيسكانى ريموند لول

ومحاولاته نشر النصرانية فى شمال إفريقية

د. علك بن محمد عوده الغامدى(*)

قبل الحديث عن ريموند لول Raymund Lull يجدر أن نشير باختصار إلى أن حركة التنصير الأوربية التى هدفت إلى تحويل المسلمين إلى النصرانية نشأت فى أحضان الحروب الصليبية وانبثقت عنها . فعندما نتتبع تاريخ الحركة الصليبية منذ الحملة الأولى وحتى أواخر القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى ، لا نجد محاولات واضحة لتنصير المسلمين ، فقد كان الجهد موجهًا لمحاربة المسلمين .

وفى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى/أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادى قامت فى أوربا حركة إصلاح دينى تسمى حركة الإحياء الإنجيلى ، بدأها فرنسيس الأسيسى ودومنيك القشتالى وذلك زمن البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦ م) وكان البابا أنوسنت الثالث Innocent فى ٨ يونية ١١٩٨م قد اختير ليتولى عرش البابوية وهو فى السابعة والثلاثين من عمره(١) وكان صاحب خبرة واسعة فى القوانين الكنسية ، شديد الاعتزاز بكنيسة روما الكاثوليكية ، وقد داعب خياله حلم السيادة على العالم ، وتحقق فى عهده حلم البابوية بإخضاع كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية عن طريق الحملة الصليبية الرابعة ، كما نجح فى إثارة أوربا النصرانية للقيام بحرب صليبية شاملة ضد دولة الموحدين فى الأندلس ، فهبت الجيوش من سائر أرجاء أوربا لمساعدة ملك قشتالة الفونس الثامن، وأنزل الصليبيون الهزيمة الساحقة بالموحدين فى معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م وهى المعركة التى قررت مصير الوجود الإسلامى فى الأندلس(٢) .

(*) أستاذ مشارك بجامعة أم القرى - مكة المكرمة .

كذلك استطاع البابا أنوسنت الثالث أن يُخضع فرنسا وإنجلترا لنفوذه بعد أن أوقع قرار الحرمان بملكيهما ، وحصل على الاعتراف من ملوك إنجلترا واراجون والبرتغال بأنهم يتولون مناصبهم كمنحة إقطاعية من البابوية . وتمكن من طرد الألمان من وسط إيطاليا وصقلية ، وأصبح يعين الأباطرة ويعزلهم وفق شروط الكنيسة الكاثوليكية(٣) .

والبابا أنوسنت الثالث ، هو الذى تمكن من القضاء على الحركة الألبيجنسية أو الكاثرية ، التى عجز الأباطرة والبابوات عن إخمادها . والحركة الألبيجنسية حركة هرطقية قامت فى أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وجاءت ردًا على إنغماس الكنيسة الكاثوليكية ، ورجال الدين فى المفاسد والانحراف الخلقى الذى لم تخرج منه إلا بعد نجاح حركة الإصلاح الكلونية . غير أن الحركة الألبيجنسية استمرت قائمة حتى تم القضاء عليها زمن البابا أنوسنت الثالث ، وقد نُسبت هذه الحركة إلى مدينة البى Albi فى جنوب فرنسا حيث انتشرت منها إلى سائر مدن الجنوب الفرنسى ، ويسمى أنصار وأتباع هذه الحركة باسم الكاثريين أى المتطهرين حيث نادى أتباعها بالتطهر والتخلص من الشر والخطايا بنبذ الحياة الدنيا ، فحرموا على أنفسهم الزواج والتملك وأكل لحوم الحيوان ، وحرموا سفك الدماء مهما كانت الأسباب . وأضحوا يعتقدون أن تهذيب النفس بالزهد والتقشف يرقى بها إلى أعلى عليين ، فإذا ما ماتت الأنفس استحالت - على حد قول الألبيجنسيين - إلى أجسام روحانية تصعد فى ملكوت السموات دون توقف أو حساب(٤) .

وقد هددت تلك الحركة الكنيسة الكاثوليكية تهديدًا خطيرًا نظرًا لأنه أصبح فى مقدور أتباعها بزهدهم وتقشفهم التغلب على رجال الكنيسة الذين أفسدتهم عندئذ نعومة الحياة . وأطلقت الكنيسة عليهم اسم الهراطقة وحاربتهم بكل الوسائل ، حتى أنها جردت ضدهم حملة صليبية تعرف فى كتب التاريخ الأوربى بالحملة الصليبية الألبيجنسية . وقد دعا إلى تلك الحرب الصليبية ضد الألبيجنسيين البابا أنوسنت الثالث فى مارس سنة ١٢٠٥م(٥) . واستمرت تلك الحرب ضد

الألبيجنسيين زهاء إحدى عشرة سنة حتى قضت عليهم سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م ولم يكن بالإمكان التغلب على أولئك الكاثريين المتقشفين بقوة السيف وحده ، وإنما بالقوة المعنوية التى تزودت بها الكنيسة بعد أن أنضوت تحت لوائها جماعات الرهبان الفرنسيسكان والدومينكان(٦) .

ومنذ أوائل القرن السابع الهجرى / أوائل القرن الثالث عشر الميلادى نشأت فى أوربا أربع جماعات رهبانية اعتمدت على الزهد والفقر والتسول :

(أ) الفرنسيسكان أو الإخوان الفرنسيسكان ويدعون فى إنجلترا بالإخوان الرماديين إشارة إلى لون أقبيتهم التى يرتدونها ، ويسمون فى فرنسا الإخوان الفقراء ، ويدعون فى ألمانيا الإخوان الحفاة .

(ب) الدومنيكان ، أو الإخوان المبشرون ، ويسمون فى إنجلترا الإخوان السود إشارة إلى لون أرديتهم التى يلبسونها . وفى فرنسا يسمون اليعاقبة .

(جـ) الرهبان الكرمليون ، أو جماعة مريم العذراء ، ويسمون بالكرمليين نسبة إلى جبل الكرمل فى فلسطين ،كما يعرفون بالإخوان البيض إشارة إلى لون ملابسهم .

(د) الإخوان الأغسطينيون أو جماعة الإخوان الزهاد المنتسبين للقديس أوغطسين.

وقد نشأت فى القرن الثالث عشر الميلادى الكثير من الجماعات الرهبانية المتسولة ولكنها انحلت بعد أن منعها مجمع ليون الثانى Council of Lyons فى سنة ١٢٧٤م(٧) . وكان لكل من المنظمات الأربع السالفة الذكر أصول مختلفة ، وخصائص متميزة ، وقوانين خاصة صارمة(٨) . ولا يهمنا من هذه المنظمات الأربع سوى منظمتى الرهبان الفرنسيسكان والرهبان الدومنيكان ، حيث انبثقت منهما حركة التنصير الأوربية التى هدفت إلى تحويل العالم الإسلامى إلى المسيحية ومنهما ظهر ريموند لول أشهر المنصرين فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية .

أما منظمة الرهبان الفرنسيسكان فمؤسسها هو فرنسيس الأسيسى Francis of Assisi الذى وُلد فى بلدة أسيس فى مقاطعة أمبريا بوسط إيطاليا سنة ١١٨١م أو سنة ١١٨٢م/٥٧٨هـ ، حيث كان أبوه تاجرًا غنيًا من تجار الأقمشة، وقد شب فرنسيس حتى صار شابًا نشطًا يتعشق الفروسية ويهوى حياة الجندية ، واشترك فى أحد الأيام فى معركة وقعت بين بلدته وبلدة بيروجيا المجاورة ، فوقع أسيرًا فى أيدى البروجيين ، وظل فى أسرهم مدة مرض خلالها مرضًا شديدًا كان له أثره فى ظهور نزعته الدينية . فلما أطلق سراحه تخلق بأخلاق جديدة جعلت منه سريع الاستجابة لآلام الغير ، له قدرة بالغة على الإقناع حتى أن بعض المؤرخين الأوربيين يصفه بأنه كان تميمة ساحرة تجمع بين المسيحيين(٩) . وفى أحد الأيام لقى رجلاً أبرصًا فنزل عن بغلته وقبَّله دون وجل أو حرج . وزعم أنه سمع هاتفًا يهتف به أن يصلح كنيسة خربة قرب بلدته أسيس ، فتنسك وانقطع عن أهله جميعًا ، وعاش على صدقات المتصدقين وشرع فى العمل بيديه فى ترميم الكنائس المهجورة ، واستمع ذات يوم إلى واعظ بإحدى الكنائس فى بلدته أسيس يقرأ الإصحاح العاشر من إنجيل متى الذى يقول نصه : « وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات ، اشفوا المرضى ، أبرئوا الأبرص ، وأقيموا الموتى ، وأخرجوا الشياطين ، مجانًا أخذتم ، مجانًا أعطوا ، لا تقتنوا فى بيوتكم ذهبًا ولا فضة ولا نحاسًا ، ولا تتخذوا مزودًا للطريق ، ولا ثوبين ، ولا خفين ، ولا عصًا لأن الأجير مستحق الأجرة "(١٠) فأصابت هذه الكلمات هوىً فى قلب فرنسيس فانطلق على وجهه فى غرب أوربا حافى القدمين يدعو إلى التوبة(١١) .

ومما ساعده على نشر دعوته أن الأحوال الدينية فى أوربا كانت فى غاية القلق والاضطراب . حتى انتشر الجدب الروحى فى كل مكان ، ذلك أن المؤسسات الديرية الضخمة التى لها نشاط فى معظم مقاطعات فرنسا أضحت مشغولة بإدراة ممتلكاتها وبيع أصواف أغنامها والاضطلاع بمختلف المسئوليات التى تنجم عادة عن امتلاك الأراضى الشاسعة .كما أن البابا أنوسنت الثالث كان

مشغولاً بالجرى وراء مشروعاته الطموحية الضخمة الهادفة إلى الهيمنة على سائر ملوك أوربا ، وحارت عقول الناس فى أوربا بسبب ما وصلت إليه الكنيسة من غنىً وثروة وطموح جامح ، الأمر الذى أدى إلى انتشار الكثير من المذاهب والهرطقات . فعلى سبيل المثال يقال إنه كان فى مدينة ميلان وحدها سبعة عشر مذهبًا هرطقيًا ، وفى إيطاليا انتشرت الحروب والأحقاد ، وأخذ الناس يتلمسون من البابوية شيئًا يستطيعون الركون إليه فى حياتهم المضطربة القلقة دون أن تستطيع البابوية أن تمدهم بشىء لأنها كانت تعيش بعيدًا عن الفقير والبائس والمحروم(١٢) .

وأخيرًا أدرك البابا أنوسنت الثالث سوء تلك الأحوال التى أمست فيها الكنيسة ورعاياها، فأقرّ بعد شىء من التردد طريقة القديس فرنسيس وأجاز له أن يصبح قسيسًا داخل الهيئة الكنسية ، فاندمج فى سلك الكنيسة قوة دينية هائلة . وقد انخرط الكثير من الرهبان ورجال الدين تحت لواء القديس فرنسيس وانطلقوا فى أنحاء إيطاليا يعظون قومهم ، ويدعون إلى التقشف والتوبة بمختلف القرى والمدن والأرياف وكان لأولئك الرهبان الفرنسيسكان أبعد الأثر فى نفوس قومهم لما رأوه فيهم من بساطة وتقشف وتواضع . وبفضل هذه الصحوة الدينية التى بعثها الراهب فرنسيس تحوّل الكثير من النصارى الذين لم يكن لهم فيما مضى إلا الاسم فأصبحوا متمسكين بنصرانيتهم أشد التمسك بل أن الكثير من الألبيجنسيين وغيرهم من المعارضين اعتنقوا دعوة فرنسيس الأسيسى(١٣) .

* * *

أما الراهب دومنيك القشتالى مؤسس الطريقة الدومنيكانية فيختلف عن الراهب فرنسيس فى أنه تعلم بمدرسة من المدارس اللاهوتية التى تؤهل طلابها لتولى وظائف الكنيسة . وكان دومنيك من كبار رجال الكنيسة فى إحدى الكاتدرائيات الأسبانية . فقد طرأ عليه هو الآخر ما غير حياته رأسًا على عقب ، فبينما كان مشاركًا فى الحملة الصليبية ضد الألبيجنسيين فى جنوب فرنسا قابل أحد دعاة الحركة الألبيجنسية فى مدينة تولوز وناقشه مناقشة طويلة هدِف منها

إلى إعادته إلى العقيدة الكاثوليكية . واقتنع دومنيك أنه لا سبيل إلى التغلب على الحركة الألبيجنسية إلا بقوة روحية تساوى تلك القوة الروحية التى عند الألبيجنسيين . ومن أجل ذلك اختار حياة التقشف والزهد ودعا إخوانه ومريديه إلى أن يحذوا حذوه لا حبًا فى التقشف والزهد ، بل كوسيلة من وسائل التأثير فى الناس . ثم التقى دومنيك بفرنسيس الأسيسى فى إيطاليا حيث تحقق أن الإعراض عن متاع الدنيا وسيلة للتغلب على الحركة الألبيجنسية . ولذا عقد دومنيك العزم على تأسيس هيئة للوعظ والإرشاد ، يكون الفقر شعارها ، وتكون طاعتها لرئيس هيئتها وللبابا مطلقة. وقد أجاز البابا أنوسنت الثالث مشروع دومنيك كما أجاز طريقة فرنسيس من قبل . وأصبح فى حوزة البابوية جيش كبير من المخلصين لدينهم(١٤) .

ومن الواضح أن هذا الجيش من الرهبان المنصرين الذى انضوى تحت لواء البابوية اختلف عن أى جيش سبق انضواؤه تحت لوائها ، لأن الرهبان الفرنسيسكان ، والدومنيكان كانوا على استعداد دائم للذهاب إلى أى مكان فى الدنيا ، والقيام بجميع ما يطلب إليهم أن يقوموا به من أعمال ، بعيدة الأسفار أو كثيرة الأخطار ، ذلك أن الأسفار والأخطار لم تكن تشكل عائقًا أمام أولئك الرهبان الذين وهبوا أنفسهم لخدمة دينهم ، وعاشوا خارجين عن سلطة الأسقفيات مستقلين عن كل أسقف ما عدا أسقف روما وهو البابا ، فانتشروا فى سائر أنحاء أوربا ، ولم يقم أحد من المبشرين فى كل العصور بمثل ما قام به الفرنسيسكان والدومنيكان فى البلاد الخارجة عن دائرة النصرانية ، فتنقلوا بين تونس ومراكش والجزائر ، وارتحلوا إلى مجاهل أفريقيا ، وإلى بلاد فارس والهند والصين ، وجنوب شرق آسيا ، يدعون إلى النصرانية(١٥) .

ويمكن أن نتصور حجم الأثر الذى أحدثه فرنسيس الأسيسى فيما يسمى بحركة الإحياء الإنجيلى إذا ما علمنا أنه فى عام ١٢٦٤ م - أى بعد نحو نصف قرن من قيامها - أصبح لدى طائفة الرهبان الفرنسيسكان مئتى ألف راهب وستة آلاف دير(١٦) .

وقد قام فرنسيس الأسيسى بنفسه بأول إرسالية تنصيرية إلى بلاد المسلمين ، إذ رافق الحملة الصليبية الخامسة التى دعا إليها البابا أنوسنت الثالث ، والتى وصلت طلائعها إلى عكا سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م وهاجم الصليبيون مناطق بيسان وقلعة الطور ، وامتدت غاراتهم إلى منطقة صيدا(١٧) ، وبعد إنسحاب الصليبيين عن قلعة الطور وعودتهم إلى عكا ، كان معهم بعض الأسرى المسلمين وضمنهم مجموعة من الأطفال الصغار فقام رادولف بطريق بيت المقدس وجاك دى فترى أسقف عكا بتعميد الأطفال المسلمين(١٨) ويبدو أن ذلك كان بتأثير الرهبان الفرنسيسكان الذين رافقوا الحملة ، ليكون هذا العمل هو البذرة الأولى فى جهود الغرب الأوربى لتنصير المسلمين وتحويلهم عن دينهم .

وكان أن أقلعت الحملة الصليبية من عكا ونزلت عند دمياط بغية الاستيلاء على مصر . وفرض الصليبيون حصارًا شديدًا على دمياط ، وخشى السلطان الأيوبى الكامل محمد سقوط مصر بأيدى الصليبيين ، فتقدم بعرضه لهم بأن يسلمهم كل ما فتحه عمه صلاح الدين من بلاد بما فيها بيت المقدس مقابل إنسحابهم من أرض مصر ، ولكن المندوب البابوى بلاجيوس وفرسان الداوية والاسبتارية رفضوا عرض السلطان الكامل(١٩) .

وقد استأذن فرنسيس الأسيسى المندوب البابوى بلاجيوس للسماح له بالذهاب إلى معسكر السلطان الكامل ليدعوه إلى اعتناق النصرانية على المذهب الكاثوليكى ، فأذن له بعد تردد خوفًا عليه إذ خشى بلاجيوس وسائر قادة الحملة أن يفتك به المسلمون . فأخذ فرنسيس معه أحد أتباعه وسار تحت علم الهدنة قاصدًا معسكر السلطان الكامل فى سنة ٦١٦هـ/١٢١٨م ، وقد ساورت الحرس السلطانى الشكوك فيه أول الأمر ، ولما رأوا هيئته وقذارته حيث كان يمشى حافى القدمين ، استمعوا إليه فلم يعرفوا من كلامه سوى ترديده كلمة « صلدان » فعرفوا أنه يريد مقابلة السلطان الكامل ، فأرسلوه إليه ، ولما دخل عليه ، وجده تحيط به حاشيته وخدمه وحرسه ومترجميه الذين يبدو أنهم كانوا من بقايا حملة الأطفال الذين اشتراهم الكامل ، واستأذن فرنسيس السلطان فى الحديث فأذن له ،

وبدأ يلُقى موعظته على السلطان الكامل ، والمترجم يترجم كلامه مباشرة فوصف له النصرانية الكاثوليكية ودعاه إلى الدخول فيها . وقد استمع إليه السلطان فى صبر وأناة وأدب جم ، و لم يسمح لأحد من علمائه بمناقشته . وطلب فرنسيس من السلطان أن يأذن له بإجراء اختبار النار للقفز فوقها كدليل على صدقه ، فأخبره السلطان أنه ليس بحاجة إلى ذلك البرهان ، ثم أكرمه وقدم له هدايا كثيرة . ولما فشل فرنسيس فى إقناع الكامل بعقيدته طلب من السلطان السماح له بالذهاب إلى بيت المقدس لإقامة دير له ولأتباعه فأذن له(٢٠) .

وكان أن وصل فرنسيس الأسيسى إلى بيت المقدس ، وسمح له المعظم عيسى بن العادل ملك دمشق بناءًا على أمر أخيه الكامل بالإقامة في بيت المقدس، واختار فرنسيس مكانًا فوق جبل صهيون ليقيم عليه الدير في مكان يسمى عُلية صهيون . وتزعم الرواية النصرانية أن هذا المكان الذى اختاره هو بقايا بيت يوحنا أحد تلاميذ المسيح ، حيث كان يجتمع المسيح عليه السلام بحوارييه فيها وأن المسيح تناول مع تلاميذه العشاء الربانى الأخير بالجهة الغربية من العلية ، وقد تمكن الرهبان الفرنسيسكان بعد ذلك من الحصول من السلطات الأيوبية على إذن برعاية هذا المكان ثم توسعوا فيه وأنشأوا به كنيسة(٢١) .

ومنذ أن أقام الرهبان الفرنسيسكان فى هذا المكان قاموا بدور مزدوج هما الدعوة إلى النصرانية بين السكان ، والتنصير من ناحية ، والعمل كجواسيس وروابط اتصال مع الدول النصرانية فى أوربا والحبشة للاتفاق على المشروعات الصليبية(٢٢) من ناحية أخرى .

وهكذا توسع نشاط الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان التنصيرى فى سائر الإمارات الصليبية فى بلاد الشام سيما إمارة إنطاكية حيث حرصوا على أن يحلوا محل رجال الدين النصارى فى الكنائس والأبرشيات(٢٣) .

وأخذ دور الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان ينمو ويتعاظم سيما زمن ملك فرنسا لويس التاسع الذى عُرف فى المصادر الأوربية باسم القديس لويس

والذى اشتهر بتعصبه للنصرانية الكاثوليكية . وحين قام سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م بحملته الصليبية المعروفة فى كتب التاريخ بالحملة الصليبية السابعة ، انضم إليه عدد كبير من الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان ، ومنهم على سبيل المثال كاهنه الخاص الراهب الدومنيكانى وليم دى شارتر Guillaume de Chartres الذى ألّف كتابًا عن سيده لويس ، وساهم فى كثير من الحوادث زمن لويس ، ورافقه فى حملته الصليبية التنصيرية إلى تونس ، وأفاض كثيرًا فى الحديث عن صفات لويس التاسع ، وحضر وفاته وسجل أن آخر ما نطق به لويس وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قوله : هيا إلى بيت المقدس(٢٤) . ومن الذين رافقوا لويس راهب دومنيكانى اسمه جوفروادى بلييه Geoffroi de Beaulieu كان أبا الاعتراف الشخصى للملك ورافقه أيضًا فى حملته على مصر والشام ، وقد ألّف هو الآخر تاريخًا عن لويس التاسع وأشاد بفضائله وتقواه(٢٥) .

* * *

وقد حاول لويس التاسع عن طريق أولئك الرهبان نشر النصرانية الكاثوليكية بين المغول حتى يسهل بعد ذلك الإطباق على العالم الإسلامى وتدمير الإسلام وتحويل المسلمين إلى النصرانية بالقوة . والراجح أن تلك السياسة الجديدة التى اتبعها لويس التاسع كانت بتأثير الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان أنفسهم وبتأثير البابا أنوسنت الرابع الذى بادر قبيل إبحار لويس بحملته إلى مصر ، فأرسل البابا إرساليتين تنصيريتين إلى منغوليا لدعوة الخان المغولى إلى اعتناق النصرانية ، وكانت الإرسالية الأولى برئاسة الراهب الفرنسيسكانى يوحنا بيان دل كاربينى Jon of pian del Garpine وقد غادرت فرنسا فى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م ووصلت إلى بلاط خان المغول بعد سنة ونصف . وأكرم كيوك خان المغول رسل البابا . وحينما قرأ رسالته التى يدعوه فيها إلى اعتناق النصرانية ، رد عليها بأن أمر البابا أن يعترف له بالسيادة العليا وأن يأتى إليه مع جميع أمراء الغرب ليقدموا له فروض التبعية والولاء. ثم عادت الإرسالية إلى البابا فى أواخر عام ١٢٤٧م . وقبل وصولها بعث البابا أنوسنت الرابع بإرساليته الثانية إلى المغول برئاسة الراهب

الدومنيكانى اسكلين اللومبارى Ascelin of Lambardy ، وسار اسكلين على رأس بعثته واجتاز بلاد الشام والجزيرة . وفى تبريز التقى بالقائد المغولى بايجونويان وبحث معه أمر التحالف بين العالم النصرانى والمغول ضد المسلمين ، واقترح بايجو أن يطبق هو بقوات المغول على بغداد من الشمال والشرق بينما تقوم حملة صليبيةبإشغال المسلمين فى الشام عنه . وأرفق بايجو من لدنه مبعوثين من النساطرة هما أيبك وسركيس ليصحبا اسكلين فى عودته إلى روما ، ومكثا فى بلاد البابا سنة ثم عادا إلى بايجو بعد أن أخبرهما البابا عن أسفه لأنه لم يطرأ جديد على مشروع التحالف(٢٦) .

وقد داعب الأمل خيال لويس التاسع بتنصير المغول والأطباق على العالم الإسلامى حينما كان فى قبرص وهو فى طريقه إلى مصر بحملته الصليبية حيث تلقى فى قبرص سفارة من جغطاى أحد حكام المغول فى فارس ، وكانت السفارة مكونة من داود ومرقس وهما من النصارى النساطرة ومضمون الرسالة أن يتحالف المغول مع الفرنسيين فى سبيل الاستيلاء على بيت المقدس من المسلمين. ولقد ابتهج لويس التاسع بهذه البعثة المغولية فأكرم رسولى جغطاى وأرسل معهما ثلاثة منصرين من الدومنيكان هم أندريه دى لونججيموه وشقيقه وليم دى لونججيموه وكانا يتحدثان العربية ، ويوحنا الكركسونى . وقد ظهر حرص لويس التاسع على تنصير المغول فى الهدية التى أرسلها مع هؤلاء الرهبان وهى عبارة عن كنيسة متنقلة مكونة من خيمة من قماش على شكل كنيسة ومعها كل ما يلزم مذبحها من المخلفات الدينية والعشاء الربانى وكل ما يحتاجه الرهبان لإقامة القداس النصرانى فى حضرة خان المغول(٢٧) . غير أن البعثة لم تصل إلى بلاط المغول إلا بعد موت الخان كيوك ، وتولت العرش مؤقتًا أرملته قلقميش حتى تم انتخاب منكوخان خانًا أكبر على عرش المغول فاستقبل البعثة ولكنه اعتبر كل تلك الهدية بمثابة جزية بعثها الملك الفرنسى رمزًا لخضوعه وتبعيته للمغول(٢٨) .

وبينما كان لويس التاسع فىعكا وصلته أنباء تزعم أن أحد أمراء المغول ويدعى سارطاق بن باطو قد اعتنق النصرانية فسارع لويس إلى إرسال بعثة

جديدة مكونة من اثنين من الرهبان الفرنسيسكان هما وليم روبـروك وبـارثولوميو الكرمونى وتابع لهما ليحثا الأمير المغولى على النهـوض لمسـاعدة إخوانـه النصـارى ضد المسلمين ولكى يقوما تحت حمايته بالتبشير بالنصرانية بين المغول . وقـد وصـل روبروك وصاحبه إلى معسكر سارطاق ، وحين دخـلا عليـه كـان روبـروك يحمـل انجيلاً فأعطاه الملك لويس مسبحة نفيسة أهدتهـا لـه الملكـة مرجريـت بينمـا حمـل بارثولوميو صليبًا وكتابًا دينيًا وأمسك التابع بمبخرة وتقدم روبروك بخطـاب لويـس إلى سارطاق وطلب منه السـماح لـه بـالدعوة إلى النصرانيـة بـين المغـول ، فأخـبره سارطاق أنه لم يعتنق النصرانية ، وأكد له أنه إذا أراد البقاء فيجب أن يحصـل علـى إذن من والده باطو وأرسل معهما من يدلهما على معسكر والده . ولما دخلا علـى باطو ، أَذِن لربروك بالحديث فجثا الراهب على ركبتيه وأخذ يحـث إيلخـان بـاطو على اعتناق النصرانية ويشرحها له ، وقال بـأن سيده لويـس أرسـله إلى سـارطاق عندما علم أنه اعتنق النصرانية ، وطلب منه السماح لـه بالتبشـير بالكاثوليكيـة فـى بلاده . ولما سأله باطو عن سبب قيام سيده لويـس بحملتـه ، قـال بأنـه يهـدف إلى انتزاع البلاد المقدسة من أيدى المسلمين ، وأنه يأمل فى توحيد جهوده مـع المغـول لتحقيق هذه الغاية . وعند ذلك أخبره باطو أنه يجب عليـه السـفر إلى بـلاط الخـان الأكبر منكوخان لإبلاغ رسالته . وكان أن سافر روبروك فى رحلـة طويلـة شـاقة مسافة ثلاثة أشهر حتى وصل قراقورم عاصمة المغول وقابل منكوخان فى ٤ ينـاير ١٢٥٤ م الذى أبلغ روبروك أنه يجب على لويس التاسع وسائر الحكام فى الغـرب الخضوع له باعتباره سيد العالم(٢٩) . ويستفاد من التقرير الذى كتبه روبروك فـى مذكراته وجود عدد من الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان فى بلاد المغول بهدف التبشير بالنصرانية ، الأمر الذى يشير إلى أن حركـة التنصـير الغربيـة أخـذت تتخـذ شكلاً دوليًا واسعًا لنشر النصرانية بين المغول وغيرهم(٣٠) .

على أن أمل الغرب الأوربى فى التحالف مع المغول وتحويلهم إلى النصرانيـة لم يلبـث أن تحطـم عندمـا اعتنـق إيلخانـات المغـول الإسـلام فـى القـرن الثـامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى وأعلنوا الإسلام دينًا رسميًا لممالكهم(٣١) .

* * *

وبعد فشل جهود لويس التاسع فى اجتذاب المغول للنصرانية وإقناعهم بالتحالف مع الصليبيين ، عمل على تنصير المسلمين أنفسهم ، فبعث الراهب الدومنيكانى أندريه لونججيمو - الذى سبق وأن أرسله للمغول - إلى تونس ليدعو إلى النصرانية وذلك سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م ودخل فى مناظرات مع المسلمين لمعرفته باللغة العربية ، ثم عاد إلى أوربا واشترك مع لويس التاسع فى حملته الصليبية على تونس ٦٦٨هـ / ١٢٧٠ م والتى كان يأمل من ورائها تحويل أمير تونس الحفصى إلى النصرانية ولكنه هلك دون تحقيق حلمه(٣٢) .

وقد جاء فى المعاهدة التى أبرمها المستنصر الحفصى سنة ٦٦٨/١٢٧٠ م مع ملك فرنسا الجديد فيليب الجرىء وشارل دوق انجو ، أن للرهبان والقساوسة حرية الإقامة بالمملكة الحفصية تحت رعايتها وحمايتها كما لو كانوا فى ديارهم ، ويحق لهم إقامة شعائرهم الدينية وطقوسهم فى الكنائس والأديرة كما لو كانوا فى ديارهم وبين شعوبهم ، وقرر الحفصيون إعطاء النصارى أراض لإقامة دور عبادتهم ، الأمر الذى زاد من عدد النصارى فى بجاية وغيرها من بلاد الحفصيين(٣٣) ومنح لهم الفرصة لمحاولة التنصير فى بلاد المسلمين مما يدل على الضعف الذى أصاب الدولة الحفصية فى هذه الفترة .

* * *

أما الراهب الفرنسيسكانى ريموند لول (١٢٣٥ - ١٣١٥م) فقد انبثق عن حركة الإحياء الأنجيلى التى استعرضنا ظهورها فى الصفحات السابقة وانخرط فى سلك الرهبان الفرنسيسكان . ويعتبر أخطر المنصرين وأشهرهم على الإطلاق على مر التاريخ ، حتى أن المنصر المشهور صمويل زويمر اعتبره أستاذه وقدوته فى كتابه الذى ألفه عنه بعنوان « ريموند لول المبشر الأول إلى المسلمين »(٣٤) أما روبرت سبير Robert E. Speer فقد وصفه بأنه أشهر مبشر ارتحل إلى العالم الإسلامى على الإطلاق ، وأنه أحد أبرز شخصيات الكنيسة الكاثوليكية خلال القرن الثالث عشر الميلادى . ذلك أنه اعتبره « مسيحيًا بروح عصرية » وأنه

سبق قرونًا كثيرة فى إرساء قواعد ومناهج وتصورات جديدة للتبشير(٣٥) . وقال عنه يوجين ستوك Eugene Stock سكرتير مجمع الكنيسة البروتستانتية بأنه " لا توجد شخصية بارزة أكثر بطولية فى التاريخ الكنسى من ريموند لول المبشر الأول وربما الأعظم إلى المسلمين "(٣٦) . وقد وصفه زويمر نفسه بأنه رائده الأول الذى مهد له الطريق ولذلك يجب إنقاذ الذاكرة من نسيان الرائد الأول على حد قوله ، وأنه يجب أن يكون قدوة لكل المنصرين ، وأنه لا يمكن له ولسائر المنصرين فى العصر الحديث أن يوفوه حقه من التقدير والشكر إلا بتحويل العالم الإسلامى برمته إلى النصرانية(٣٧) .

ويذكر بعض المؤرخين الذين درسوا حياة ريموند لول وكتبه أنه لم توجد برامج وخطط للتنصير فى تاريخ النصرانية لأكثر من ألف سنة قبله كتلك التى اقترحها ودعا إلى تطبيقها(٣٨) ، وضمنها كتبه التى ألّفها والتى بلغت المئات ، بحيث لم يضارعه فى حجمها أحد من الكتاب النصارى لا قبله ولابعده وأصبحت تلك الخطط هى الدستور والمنهج التى سار عليه واتبعه المنصرون بعده لأكثر من خمسمائة عام(٣٩) .

وُلِد ريموند لول فى بالما فى جزيرة ميورقة إحدى جزر البليار فى سنة ١٢٣٥م على الأرجح ، وهو ينتمى إلى أسرة قطالونية مشهورة ، وكان والده جنديًا فى جيش ملك أراجون جيمس الأول الذى انتزع جزيرة ميورقة من المسلمين . وقد كوفىء والد ريموند بقطعة من الأرض فى ميورقة ، حيث نشأ ريموند فى كنف أسرته ، وتزوج فى دور مبكر ثم غادر بالما مع زوجته إلى أسبانيا حيث عمل قهرمانًا فى قصر ملك أراجون جيمس الثانى ، وهى الوظيفة التى يتولى صاحبها الإشراف على المآدب والمراسم . وعاش ريموند لول حياة مليئة بالفسوق والفجور والتهتك فى قصر يعج بالفساد حيث الخمر والنساء والغناء ، شغف بالموسيقى والعزف على القيثار وأصبح مشهورًا بوصفه شاعر البلاط . وقد ساق هو اعترافاته فى أحد كتبه التى كتبها حيث أشار إلى تلك الحياة الماجنة التى عاشها(٤٠) .

عاد ريموند إلى مسقط رأسه بالما حيث زعم أن المسيح عليه السلام ظهر له فى إحدى حظائر الخنزير ومنه تسلم النداء الأخير ، وجعله يتخذ قراره بالتخلى عن الجميع وأن يصبح المبشر بالاستقامة حسب زعمه(٤١) .

قرر ريموند لول سنة ١٢٦٣ م أن يقضى بقية حياته فى خدمة دينه فانخرط فى سلك كنيسة للرهبان الفرنسيسكان فى بالما بجزيرة ميورقة ، وانكب خلال عشر سنوات تالية على دراسة الفلسفة وتعلم اللغة العربية من أسير مسلم . وخلال بقية حياته أظهر لول نشاطًا لا حدود له ، وقد عاصر تساقط المعاقل الصليبية فى بلاد الشام على يد الظاهر بيبرس ، وقلاوون ، وابنه الأشرف خليل ، وارتاع شأنه شأن سائر معاصريه من النصارى الغربيين لسقوط آخر المعاقل الصليبية وهى مدينة عكا سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م واعتبر تلك الحادثة كارثة مروعة حلت بالعالم النصرانى ، ولذلك قرر أن يقضى بقية حياته جاهدا على تنصير المسلمين واستعادة الأراضى المقدسة منهم(٤٢) .

وقد تنقل لول بين المراكز الفكرية فى أوربا ، ودرس ، وحاضر ، وناقش علماء اللاهوت النصارى ، وبحث معهم شئون الأمم الأخرى ، وقابل البابوات واتخذ وضعه فى جلسات كثير من المجامع الدينية . ثم رحل إلى الشرق وإلى شمال أفريقية داعيًا إلى النصرانية . ويعتبره الكثير من أساتذة التاريخ الأوربى أنه من الرواد فى دنيا المعرفة الأوربية فى العصور الوسطى وأنه مثل روجر بيكون - الذى ينتمى إلى الرهبان الفرنسيسكان - يعتقد أن جميع العلوم بمثابة فروع من شجرة واحدة(٤٣) . وقد جعل هدفه الأسمى الذى يسعى إلى تحقيقه هو اجتذاب جميع الأمم إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية ، سواء النصارى المنشقين عنها أو المسلمين أو التتار ، وكرس كل نشاطه وحياته لتحقيق هذا الهدف(٤٤) . وشرع يعمل على إرساء نظام تنصيرى منسق تحت رعاية الكنيسة ، يتكون رجاله من طبقة من المنصرين يجب - فى نظره - أن يتحلى جميع أفرادها بالسلوك الهادىء الودود ، وأن يحاولوا الإقناع بالحجة والمنطق(٤٥) . ويرى ديلا فيل لى رولكس Delavill

le Roulx أن ريموند لول أدرك عدم جدوى استخدام القوة فى حسم الخلاف بين الشرق والغرب ، وأنه تخلى عن فكرة الحملة الصليبية باعتبارها مستحيلة ، ولذلك حاول أن يستميل المسلمين إلى النصرانية عن طريق الاقناع والتعليم(٤٦) . أما المنصر صمويل زويمر فيزعم فى كتابه الذى ألّفه عن لول أنه سعى فعلاً إلى تكوين حملة صليبية ولكنها ليست للحرب بل للحب ، أى محبة المسلمين لاجتذابهم إلى الدخول فى النصرانية(٤٧) . ومن المبادىء التى نادى بها ريموند لول وجوب توحيد منظمات الفرسان الرهبان (الجماعات العسكرية ، كالاسبتارية ، والداوية، والتيوتون) حتى يصبح لدى الكنيسة جيش بالغ الضخامة من الفرسان الكنسيين(٤٨) .

وقد قام ريموند لول بدور خطير فى تنصير مسلمى لوجاره فى إيطاليا والتى تقع إلى الشمال الشرقى من نابلى وسكان لوجاره جميعهم مسلمون فقد ذكر المؤرخ جمال الدين بن واصل أنه ذهب فى سفارة من قبل السلطان الظاهر بيبرس إلى الملك مانفريد بن الإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ٦٥٩هـ/١٢٦١م ، وحين اجتمع به وجده متميزًا محبًا للعلوم مثل أبيه ، وذكر أنه بالقرب من البلد الذى نزل فيه مدينة تسمى لوجاره أهلها كلهم مسلمون من أهل جزيرة صقلية وتقام فيها الجمعة وسائر الشعائر الإسلامية " وهى على هذه الصفة من عهد أبيه الامبراطور ، ووجدت أكثر أصحابه الذين يتولون أموره الخاصة به مسلمين ويُعلن فى معسكره بالأذان والصلاة "(٤٩) . وكان الامبراطور فردريك الثانى قد نقل هؤلاء المسلمين من صقلية إلى لوجاره ، فاشتغلوا فيها بالزراعة ، وأخذ فردريك فى تجنيدهم فى جيشه لبراعتهم فى صنع السهام ورميها، وأصبحت لوجاره بعد ذلك وكأنها جزيرة صغيرة وسط بحر من القوى الصليبية . وبعد سقوط أسرة الهوهنشتاوفن الألمانية وقيام أسرة انجو الفرنسية فى تلك البلاد اشتد الضغط على هؤلاء المسلمين بقصد تنصيرهم ، غير أنهم تمسكوا بعقيدتهم الإسلامية ولغتهم العربية . وقد أشار ريموند لول على شارل الثانى كونت انجو بأن يقوم بتنصير مسلمى لوجاره عن طريق الاقناع وشىء من

الضغط ، ثم إكراههم على اعتناق النصرانية إذا رفضوا ، وأن يعهد إلى المسلمين الذين يرتدون إلى النصرانية بمناصب ذات أهمية لإغراء الآخرين . زار لول بنفسه لوجاره سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤ م حاملاً رسالة من شارل الثانى كونت انجو إلى جيرار حاكم لوجاره يأمره بتسهيل مهمة لول ومناظرة مسلميها لتحويلهم إلى النصرانية ، وقد تم القضاء نهائيًا على أولئك المسلمين فتفرقوا أيدى سبأ فمنهم من فر إلى أفريقية ومنهم من سافر إلى المشرق أما الذين احتجزوا فقد جرى تنصيرهم كرهًا وأصبحت تلك المدينة مدينة نصرانية خالصة(٥٠) .

وقد ذهب ريموند لول لمقابلة البابا كلستين الخامس (١٢٩٤م) فى نابلى فى نوفمبر ١٢٩٤ م وعرض عليه برنامجه التنصيرى المفصل ، وطلب منه أن يتبنى ذلك البرنامج كسياسة تبشيرية جديدة تحت رعاية البابوية ، وأوضح لول للبابا أنه يجب التركيز أولاً على نشر النصرانية بين التتار ، لأنه يخشى أن يُستَمالوا من قبل أحد المسلمين ويصبحون بالتالى خطرًا على النصرانية(٥١) . وهذا يشير إلى أن لول أدرك قدرة دين الإسلام على الانتشار بين الأمم سيما الأمم الوثنية بحيث يصبح فى مقدور داعية واحد اجتذاب أمة بكاملها إلى الإسلام ، إذا تمكن من إيصال دعوة الإسلام بصورتها الصحيحة إلى تلك الأمة . كذلك ناشد لول البابا وحرضه على تجريد حملة صليبية جديدة ، ليس لاسترداد الأراضى المقدسة فحسب ، بل يجب غزو كل البلاد الإسلامية بقوات مسلحة . غير أن البابا كلستين الخامس سرعان ما تخلى عن الكرسى البابوى فى ١٣ ديسمبر ١٢٩٤م واعتزل فى أحد الأديرة(٥٢) .

وبعد اختيار البابا الجديد بونيفيس الثامن (١٢٩٤ - ١٣٠٣ م) سار ريموند لول إلى روما ليعرض على البابا الجديد خططه وبرامجه ، وحين تمت المقابلة عرض مطالبه السابقة ، ولكى يستثير همة البابا شرح له ما أسماه بالتفوق العددى للكفار - ويقصد المسلمين - بالمقارنة مع النصارى ، وأنه ينبغى على الكنيسة أن تظفر بهم جميعًا وببلادهم وأن تدخلهم فى الدين الصادق - حسب زعمه - وشرح للبابا أن ذلك لن يتحقق إلا بتوفر ثلاثة شروط أساسية هى :

(أ) دراسة لغات تلك الشعوب والتبشير بالإنجيل بينهم بلغاتهم ذاتها .

(ب) حملة صليبية مسلحة ضد المسلمين لتمكين المنصرين من التوغل فى بلادهم .

(جـ) تخصيص عشر موارد الكنيسة للانفاق على هذا المشروع . وهذا كفيل بانجاحه . أما البيزنطيون وغيرهم من الطوائف النصرانية المنشقة عن كنيسة روما فيمكن التفاهم معهم بطريقة عقلية محضة لإثبات خطئهم - حسب رأيه(٥٣) - ويبدو أن نزاع البابا بونيفيس مع ملك فرنسا فيليب الجميل عرقل تنفيذ مشروع ريموند لول .

وفى سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢ م شرع ريموند لول فى الإعداد لرحلته التنصيرية الأولى إلى تونس حيث زعم أنه سيرد على سقوط عكا بيد المسلمين بالتبشير بالنصرانية بين مسلمى شمال أفريقية . ويزعم زويمر أن لول أراد أن يظفر بالمسلمين بالحب وليس بالحرب ، وقد غادر باريس ومنها إلى جنوه ثم أبحر إلى تونس ونزل بها ، وقابل قاضى قضاة تونس ويدعى ابن عمار ودخل معه فى مناظرات طويلة بهدف إقناعه بالنصرانية . وقد سجل لول أخبار تلك المناظرات فى مذكرات نُشرت بعد وفاته بعنوان « المساجلة الدينية بين ريموند وابن عمار » ولكن يبدو من مناقشات ريموند أنها كانت فلسفية تقوم على التهجم على عقيدة التوحيد وعلى شخص النبى محمد ﷺ ، وتسفيه آراء المسلمين والانتقاص من عقيدتهم وزعمه أن عقيدته الكاثوليكية هى الصحيحة ، فشاع خبر تلك التخرصات بين المسلمين فى تونس الأمر الذى أثار حفيظتهم وجرى القبض عليه ومحاكمته وصدر ضده حكم بالإعدام ولكن السلطان الحفصى أمر بطرده إلى بلاده، خوفًا من الأثر الذى سيحدثه قتله على علاقاته بالدول الأوربية . ولما أُخذ إلى السفينة التى كانت ترسو فى ميناء تونس للإبحار إلى جنوه تكاثر عليه الجمهور المسلم الغاضب وأخذ يرشقه بالحجارة وجرت اشتباكات بين الجمهور وبين الرجال الموكلين بحراسته و لم يصل إلى السفينة إلا بصعوبة . ولكنه كان مصممًا على العودة لينقذ أرواح المسلمين - بزعمه - وأنه سوف يجتذبهم إلى النصرانية ويدخلهم فى حظيرتها(٥٤) .

وفى سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩ م قرر ريموند لول السفر إلى بلاد الشام حينما سمع بنبأ غزوها من جانب المغول ، وذلك لمقابلة خان غازان - الذى كان قد اعتنق الإسلام - ودعوته إلى الدخول فى النصرانية . ولكنه وصل متأخرًا فلم يستطع مقابلة غازان حيث انسحب المغول قبل وصوله . ثم توجه إلى قبرص وطلب من ملكها الصليبى هنرى الثانى دى لوزجنان أن يساعده فى مهمة تنصير المسلمين ، وزعم له أن خير وسيلة لتحويل المسلمين إلى النصرانية هى أن يكشف لهم - حسب تصوره - خطأ عقيدتهم(٥٥) . ولا تعطينا المصادر تفاصيل عن العمل الذى قام به لول مع ملك قبرص فى سبيل تحقيق هدفه بتنصير المسلمين . ولكننا نعلم أن ملك قبرص كان حينذاك على إلمام بأوضاع بلاد الشام فى تلك الحقبةوأنه كان قد تلقى رسالة من شيخ الإسلام ابن تيمية هى الرسالة المعروفة بالرسالة القبرصية وفيها شرح شيخ الإسلام عقيدة التوحيد التى هىعقيدة الإسلام، وأن الأنبياء جميعًا بُعثوا بدعوة واحدة هى التوحيد وأن لا معبود بحق إلا الله ، وأن النصارى انحرفوا عن عقيدة التوحيد واتبعوا القسيسين والرهبان وما أحدثوه من تحريف فى دين عيسى عليه السلام ، وأشار إلى التناقض الواقع فى عقائد النصارى - والعبادات التى ابتدعوها ثم قارن بين اليهود والنصارى ، وأشار إلى أن أمة محمد ﷺ هى الأمة الوسط . ودعا شيخ الإسلام ملك قبرص إلى أتباع الدين الحق وبحث الأمر بجد وسيجد أن ذلك سوف يفضى به إلى الإسلام ، كما أوصاه بإطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين أسرهم القبارصة فى البحر غدرًا(٥٦) .

ويبدو أن ملك قبرص أطْلَعَ لول على رسالة شيخ الإسلام ، وكان ريموند لول - حينذاك - بجمع مادة كتبه ، فرد ريموند لول على رسالة شيخ الإسلام بأن بعث إليه بكتاب قديم ألّفه أحد علماء الكنيسة الشرقية ويدعى بولس الراهب أسقف صيدا الإنطاكى المتوفى سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م(٥٧) . وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا الكتاب الذى بعث به ريموند لول من قبرص إلا أنه لم يصرح باسم المرسل ، ورد شيخ الإسلام على ذلك الكتاب بكتابه الفريد « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » وقد صرح شيخ الإسلام بأن سبب تأليفه لكتابه

الجواب الصحيح أن كتابًا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى ، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديمًا وحديثًا ، من الحجج السمعية والعقلية ، فاقتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب ، وبيان الخطأ من الصواب لينتفع أولو الألباب ، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب . وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً ، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعًا وأصلاً ، وعقدًا وحلاً . وما ذكروه فى هذا الكتاب هو عمدتهم التى يعتمد عليها علماؤهم فى مثل هذا الزمان ، وقبل هذا الزمان ، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال ، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك ، ويتناقلها علماؤهم بينهم ، والنسخ بها موجودة قديمة وهى مضافة إلى بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي ، كتبها إلى بعض أصدقائه وله مصنفات فى نصر النصرانية ... وقد عظّم هذه الرسالة وسماها : الكتاب المنطيقى الدولة خانى المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأى المستقيم "(٥٨) . ويتضح من نصوص كتاب بولس الانطاكى التى أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية أنها تحاول تشكيك المسلمين فى دينهم وإثبات صحة دين النصارى ، وهى الطريقة التى سار على منوالها ريموند لول . وقد فنّد ابن تيمية تلك الرسالة فصلاً فصلاً وأثبت أن جميع الأدلة التى يستدلون بها على صحة معتقدهم إنما هى أدلة تثبت فساد عقيدة النصارى وانحرافهم عن الدين الحق الذى بعث به سائر الأنبياء . وأثبت بالإدلة القاطعة صحة دين الإسلام وإنه الدين الحق الذى لا يقبل الله تعالى غيره(٥٩) .

ولم تتمخض جهود ريموند لول ورحلته إلى الشرق عن نتائج عملية لصالح النصارى ، فدولة المماليك حينذاك كانت فى أوج قوتها فى مصر والشام وفيها الكثير من العلماء الأفذاذ أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه . إضافة إلى أن الجيش المغولى تعرض للهزيمة مرة أخرى سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣ م فى مرج الصفر خارج دمشق(٦٠) .

عاد ريموند لول إلى أوربا وشرع فى تأليف كتابه النهاية Liber de Fine ، وانتهى من كتابته فى إبريل ١٣٠٥ م . وقد أورد فيه آخر ما توصل إليه من آراء

بناءً على رحلاته ومقابلاته وما جمعه من معلومات . ويتكون الكتاب من فصل تمهيدى وثلاثة أبواب ، وفيها يصيغ لول خططه وبرامجه لتنصير المسلمين وتحويلهم عن دينهم وتدمير عقيدتهم . وقد بدأ كتابه بالتفجع والرثاء لحالة العالم الذى لا يشكل فيه النصارى سوى القليل بينما الكفار - بزعمه - هم الأكثر ، وأعدادهم تزداد وأقاليمهم تتوسع عن طريق ما أسماه اغتصاب الأقاليم المقدسة التى هى الحق الشرعى للنصارى - حسب زعمه - وكان فى كل كلامه يوجه النداء إلى البابوية والكرادلة ، والملوك ، والأمراء الأوربيين لتنفيذ مقترحاته ، حتى يتمكن من اجتذاب كل أمم الأرض إلى حظيرة المذهب الكاثوليكى(٦١) .

أما الفكرة العملية التى كانت قد سيطرت على ريموند لول منذ وقت مبكر فهى الدعوة لتعليم اللغة العربية للرهبان المنصرين . فقد تمكن هو من اتقان اللغة العربية فتحدث بها بطلاقة و لم يقتصر الأمر على ذلك بل تمكن من الترجمة منها وترجم بعض مؤلفاته إليها . ولذلك نجح فى إقناع ملك أراجون جيمس الأول بمساعدته فى إنشاء مدرسة ميرامار لتعليم اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية وذلك سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦ م فى جزيرة ميورقة والتى يمكن اعتبارها أول مدرسة فى الغرب الأوربى لدراسة اللغة العربية . كذلك حصل من البابوية على الموافقة بإنشاء مدرسة أخرى فى روما(٦٢) . ولذلك نجد لول فى كتاب النهاية يفرد فصلاً سماه " محاجة الكفار " يعنى المسلمين واليهود والمنشقين عن الكنيسة ، والتتار أو الوثنيين ، ودعا إلى إنشاء أربعة أديرة لتعليم اللغات الشرقية يتعلم بها الرهبان الذين سيذهبون فى بعثات تنصيرية ، وهذا سيمكن المنصر من أن يتجادل مع الشعوب المختلفة بلغاتها الخاصة ويتفادى سوء فهم المترجم(٦٣) .

وحث ريموند لول النصارى للعمل بالسيفين ، سيف التنصير ، وسيف الحرب ، وأنه يجب العمل بهما معًا ضد المسلمين ، حيث زعم أن تجريد حملة حربية صليبية ضد المسلمين يوفر للسيد المسيح السعادة الجسدية بينما إرسال جيش المنصرين إليهم يوفر له السعادة الروحية(٦٤) .

وفى القسم الثانى من كتابه النهاية الذى جعل عنوانه « طريقة الحرب » عرض لول خططه الحربية لنجاح الحملة الصليبية المصحوبة بجيش المنصرين ، فدعا فى هذا الفصل إلى أن يكون قائد الحملة الصليبية ملكًا منتخبًا من قبل البابا والكرادلة وأن تتوحد تحت إمرته جميع منظمات الرهبان الدينية والحربية(٦٥) . كما ينبغى على البابا والكرادلة أن يتنازلوا عن عشر دخل الكنيسة ، فيستخدم ثلثا ذلك المبلغ لتجهيز الجيش . ويستخدم الثلث الباقى فى مساعدة الرهبان المنصرين الذين يصحبون الجيش إلى بلاد المسلمين . وضمَّن لول هذا القسم من كتابه آراءه عن تنظيم الجيش وكميات المؤن الغذائية والمواد الحربية ، والتعليمات التى ينبغى أن يلتزم بها المنصرون المرافقون للجيش(٦٦) .

وقد عرض ريموند لول خمسة طرق لمسير الجيش الصليبى يمكن من خلالها شن الحرب على العالم الإسلامى وانتزاع الأراضى المقدسة ، ومن ثمة تحويل المسلمين إلى النصرانية عن طريق المنصرين المرافقين للجيش وتلك الطرق هى :

الأول : عبر أراضى الامبراطورية اليونانية (البيزنطية) وتركيا وأرمينية الصغرى ومن ثم إلى بلاد الشام ، غير أن لول أوضح أن هذا الطريق طويل وباهظ التكاليف وتكتنفه الأخطار(٦٧) .

الثانى : عن طريق جزيرة رشيد الواقعة شرقى الإسكندرية وهى مرفأ أمين للسفن يمكن للفرسان انتزاعها بسهولة واتخاذها قاعدة للإنطلاق منها إلى البر وشن الهجوم ، وهذا الطريق كما يرى لول طويل ومكلف جدًا(٦٨) .

الثالث : طريق بحرى إلى قبرص ثم أرمينية الصغرى (قيليقية) وهذا الطريق أيضًا طويل ويتطلب مقاتلين فى البر والبحر ، إضافة إلى أن هذه البلاد لا تملك الوسائل الكافية لتزويد الجيش والأسطول بالمؤن(٦٩) .

الرابع : الطريق إلى تونس ، والتى كانت قد اُختبرت وأفضت إلى الفشل بواسطة تجربة لويس التاسع الأخيرة(٧٠) .

الخامس : وهو الطريق الذى يعتبره لول أكثر ميادين القتال ملائمة للصليبيين وهو الذى يمكن أن يحققوا عبرة أفضل النتائج فى حرب المسلمين . ويبدأ بطرد المسلمين من الأندلس ، ثم يعبر الصليبيون بحرًا ضيقًا هو جبل طارق إلى شمال أفريقية ، ويشرح ميزات هذا الطريق بأن المريّة ومالقة وغرناطة تقع كلها فى الأندلس ، وموقع غرناطة موقع فريد يسهل السيطرة عليه فهى مطوقة بمياه البحر وبمملكتى قشتالة وأراجون ، ومن الصعب على المسلمين أن يقدموا لها المساعدة . وفوق ذلك فإن الأندلس منطقة خصبة ولديها وفرة فى الخيول ، وكل ذلك فى متناول الصليبيين ، ويستطيع قائد الجيش أن ينتزع بقية بلدان الأندلس قلعة وراء قلعة، ومدينة تلو مدينة . وأن هذا أمر فى غاية السهولة ، وما أن تصبح الأندلس برمتها فى قبضة الصليبيين حتى يصبح فى مقدورهم عبور جبل طارق للانقضاض على البربر فى عقر دارهم ، وأن يبدأ الصليبيون بالاستيلاء على سبتة ثم التحرك تدريجيًا عبر الساحل باتجاه تونس ، وفى الوقت نفسه يستطيع الأسطول الصليبى أن يتخذ من جزيرتى مالطة ورودس الخاضعتين للصليبيين قاعدتين لمساعدة الحملة، ومن ثم استرداد الأراضى المقدسة والاستيلاء على مصر(٧١) .

وفى القسم الرابع من كتابه Liber de Fine يقدم لول اثنتى عشرة نقطة فى مخططه العسكرى لو طبقها النصارى لتفوقوا على المسلمين على حد تعبيره . وأبرز تلك النقاط :

(أ) ضرورة قيام الملوك بواجب إمداد الجيش بالقوة العسكرية اللازمة .

(ب) الاستعداد الدائم للقوات المتمركزة على حدود البلاد الإسلامية للتحرك السريع(٧٢) .

(جـ) أن تقوم القوادس(٧٣) بقطع كل أمَل فى أية نجدة قادمة للمسلمين من وراء البحر .

(د) وفيما يتعلق بآلات الحرب ومن أهمها السهام التى يستخدمها النصارى، فيجب أن تكون على درجة من الكفاية تفوق كفاءة آلات المسلمين الحربية .

وضرورة استخدام الأخشاب المتينة الصالحة لصناعة الحراب والرماح التى تشتهر بها قطالونيا وأراجون وقشتالة ، وتوفير المؤن والحديد وغير ذلك . ومن ناحية أخرى لم يغب عن لول فى تلك النقاط أن ينبه النصارى الغربيين إلى أن المسلمين يتميزون على خصومهم بنظامهم القتالى الذى ينفذونه بصرامة ، وامتلاكهم القوس التركى المعروف بجودته ، وتمرسهم فى نصب الكمائن وفن الالتفات فى حروبهم حول عدوهم(٧٤) . وهى الطرق التى برع المسلمون فيها منذ فجر الحروب الصليبية فى قتالهم ضد الصليبيين . وكل هذه الإرشادات التى أوردها لول تدل على براعته ونضوج فكره العسكرى وكأنه أحد القادة العسكريين الذين خاضوا حروبًا طويلة .

وأوضح لول بعض الأعمال العسكرية التى ينبغى على الصليبيين أن يقوموا بها فعلى قائد الحملة أن يعين فارسًا موثوقًا فيه من جيشه فى منصب أمير البحر الذى يقع على عاتقه قيادة الأسطول والعمليات البحرية ضد المسلمين ، واعتراض طرق المواصلات البحرية التى تتيح اتصالهم بالنصارى المزيفين الذين يعارضون قرارات الكنيسة(٧٥) . ويقصد لول بأولئك النصارى المزيفين البنادقة والبيازنة والجنوية الذين كانت لهم علاقات ومصالح تجارية مع المسلمين ويحرصون على مصالحهم أكثر من حرصهم على تنفيذ أوامر الكنيسة . كما يجب أن تحمل السفن مائة فارس بخيولهم ، ومائة وخمسين رجلاً من رماة السهام وألفًا من المشاة، يجرى استخدامهم لتأمين نزول ناجح فى الأقاليم المعادية بحيث يمكن تجهيز مكان للمعركة يستوعب الفين من الخيالة أو أكثر . وفى هذه الحالة يمكن - حسب تصوره - تدمير جميع مدن المسلمين الساحلية ، ويستطيع القائد البحرى الحصول على المؤن والإمدادات من رودس ومالطة(٧٦) .

أما عن جيش المنصرين المرافق للحملة الصليبية فيجب أن يتوافر لديهم وعُاظ لهم مهارة فائقة وقدرة على الإقناع ، ويجب أن يكون لدى المنصرين رجال يعرفون القانون والطب والجراحة بحيث يمكنهم القيام بمتطلبات الرهبان ، فيهتمون

بالمرضى والجرحى ، وينبغى على سائر المنصرين فى الجيش أن يتعلموا العربية حتى يتقنوها وأن يدرسوا بصفة خاصة رسالة عبد المسيح الكندى لكى يثبتوا - على حد تعبير لول - بطلان دين محمد ﷺ . وهذا سوف يتيح لهم أن يفهموا مراسلات الحرب السرية للكفار - ويقصد المسلمين - والقيام بمناظرات ناجحة مع الأسرى الذين يمكن إذا اعتنقوا النصرانية منحهم الحرية للعودة إلى بلادهم والعمل على تغيير عقيدة المسلمين(٧٧) .

وإذا كانت ظروف أوربا والبابوية حينذاك - مثل انتقال البابوية إلى افنيون وهو ما عرف باسم الأسر البابلونى ، وظهور النزاعات الكثيرة فى أوربا - لم تساعد على تحقيق خططه العسكرية لاجتياح بلاد المسلمين ، فإن الدول الأوربية نفذت العديد من تلك الخطط فى مهاجمتها لبلاد المسلمين إبان القرون التالية .

وفى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م ، أى بعد رحلته الأولى بخمس عشرة سنة أبحر ريموند لول للمرة الثانية إلى شمال أفريقية لمواصلة عمله التنصيرى ، ولمحاولة إقناع المسلمين لا سيما البربر باعتناق النصرانية ، وحينما وصل إلى بجاية بالجزائر اتصل بالعلماء المسلمين فوافقوا على مناقشته للوصول إلى الحقيقة فيما يتصل بالدين الحق . وحدد قاضى المدينة موعدًا ومكانًا لمناقشته . وعقدت الجلسة ودار النقاش باللغة العربية ، التى كان لول يتحدث بها بطلاقة . وانتهت الجلسة بسخط أهالى بجاية الذين حضروا النقاش بسبب تعصب لول ، وتهجمه على عقيدة الإسلام ونبى الإسلام محمد ﷺ ، وإصراره على مواقفه ، وعدم اقتناعه بالحقائق الناصعة التى بسطها علماء المسلمين أمامه ، وزعمه الباطل أن الحق إلى جانبه ، وتسفيهه لحجج وآراء العلماء المسلمين . وتحفظت عليه السلطات الحفصية فى السجن لحمايته من سخط الجماهير الغاضبة إلى حين صدور الحكم عليه وقد صدر الحكم عليه بإدانته وسجنه ستة أشهر لإساءته إلى الإسلام والمسلمين . على أنه عومل فى السجن معاملة طيبة ، بل وتمكن أثناء سجنه من إجراء مناقشات كتابية مع أحد

فقهاء المسلمين يدعى عمر . وبعد انتهاء مدة العقوبة قرر حاكم بجاية أبو البقاء خالد الحفصى طرده من البلاد وفى طريق عودته إلى إيطاليا غرقت السفينة التى كان يستقلها على بعد عشرة أميال من بيزا ولكنه نجا بأعجوبة بعد أن فقد جميع كتبه وحاجياته التى كانت معه(٧٨) .

وبناء على مناظراته مع المسلمين فى بجاية قام ريموند لول مرة أخرى بتنقيح ومراجعة القسم الأول من كتابه النهاية وهو القسم الذى عنوانه « محاجة الكفار » وفى هذا القسم المنقح ذكر أن اليهودية ديانة طيبة بقدر ما هى الأساس للنصرانية ، وأن النصرانية - حسب زعمه - أفضل لأنها ديانة أكثر كمالاً . ثم بعد ذلك أبدى مزاعمه حول الإسلام وتهجمه على شريعة محمد ﷺ ، التى يعتبرها مزيفة وخاطئة ثم وضع بعد ذلك الحلول والوسائل التى رآها كفيلة بالتفوق على المسلمين ومن ثمة تنصيرهم وتدمير عقيدتهم ، وتتمثل هذه الوسائل فى ثلاثة أمور هى :

(أ) تأسيس أربعة أو خمسة أديرة لتعليم مختلف اللغات وبخاصة العربية ، والتخصص فى أعمال التنصير لجذب أكبر عدد ممكن من سكان العالم إلى النصرانية .

(ب) توحيد سائر المنظمات الدينية والحربية النصرانية للعمل وفق خطة مشتركة .

(جـ) تخصيص عشر دخل الكنيسة لهذا الغرض .

وأضاف أن ملك أراجون جيمس الثانى أرسل إلى البابا رسالة يعده فيها بأن يضع شخصه وأرضه وجيشه وثروته تحت إمرته لمحاربة المسلمين . وأرسل لول الرسائل مرة أخرى إلى سائر ملوك وأمراء أوربا يطلب منهم المساعدة وجمع الأموال لإخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود(٧٩) .

وقدّم ريموند لول مشروعه مرة أخرى إلى مجمع فينا الذى انعقد فى سنة ٧١١ هـ/١٣١١ - ١٣١٢م حيث حضر لول جلسات المجمع وجدد دعوته إلى

القيام بحملة صليبية وإلى العمل على تنصير المسلمين . وقد شاهد مشروعه يتكلل بالنجاح جزئيا عندما قرر هذا المجمع الذى رأس البابا كلمنت الخامس جلساته إنشاء خمسة كراسى لتدريس العربية والعبرية واليونانية فى خمس جامعات كبرى من الجامعات الأوربية ، وهى جامعة البلاط البابوى فى روما . وجامعة باريس فى فرنسا ، وجامعة اكسفورد فى إنجلترا ، وجامعة بولونا فى إيطاليا ، وجامعة شلمنقة فى أسبانيا . وهذا القرار يدل على أن البذور الأولى للاستشراق بدأت بين أحضان الكنيسة الكاثوليكية ومؤسساتها فى غرب أوربا(٨٠) .

عاد ريموند لول مرة أخرى إلى شمال أفريقية ، رغم فشله فى المرتين السابقتين أمام تمسك المسلمين فى هذه البلاد بدينهم الحق وثباتهم عليه ، ورفض كل محاولة للنيل منه وكانت عودة لول للمرة الثالثة والأخيرة إلى شمال أفريقية سنة ٧١٥ هـ/ ١٣١٥م أى بعد ثمان سنوات من رحلته الثانية . وقد تزود فى هذه المرة بخطاب توصية من جيمس الثانى ملك أراجون لسلطان تونس الحفصى ابن اللحيانى (٧١١ -٧١٧هـ / ١٣١١ - ١٣١٧ م) فسمح له السلطان الحفصى بأن يعيش حياة هادئة فى تونس بشرط ألا يجاهر بعمله التنصيرى وألا يثير الشعب أو يمس مشاعر المسلمين . ولكن لول شرع يدعو إلى النصرانية ، ثم اتجه إلى بجاية بالجزائر ، حيث سبق له أن أثار شعور المسلمين سابقًا ، وما أن وصل إلى بجاية فى السنة نفسها حتى اكتشف المسلمون أمره ورجموه بالحجارة على الساحل فى السابع عشر من ربيع الأول ٧١٥هـ/٢١يونية ١٣١٥م ، وأدركه تاجران جنويان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فحملا جثته وأبحرا به إلى بالما فى جزيرة ميورقة حيث دُفن فى كنيسة هناك وقد بلغ من العمر زهاء ثمانين سنة(٨١) وبذلك تحقق له من المبادىء التى وضعها لاتباعه قوله : « إن مهمة الرهبان الفرنسيسكان لا تقتصر على الدعوة السلمية فحسب بل المستبسلة إلى حد الاستشهاد ضد العقيدة الإسلامية وتعاليمها »(٨٢) .

على أن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو لماذا ركز ريموند لول جهوده التنصيرية على شمال أفريقية دون غيرها من بلدان العالم الإسلامى ؟ يبدو أن لول أدرك أهمية شمال أفريقية وقربها من الغرب الأوربى ، حيث تصور أنه إذا تم تنصير المسلمين فى شمال أفريقية فستصبح تلك البلاد بلدانًا مسيحية ، وبالتالى تصبح صديقة للغرب الأوربى الكاثوليكى بحيث يمكن للجيوش الصليبية الأوربية أن تزحف عبر شمال أفريقية للإطباق على دولة المماليك وكانت تشكل حينذاك قوة الإسلام الضاربة - للقضاء عليها ، ومن ثمة استرداد الأراضى المقدسة فى بلاد الشام بحيث يمكن بعد ذلك التحالف مع التتار وإزالة الإسلام من الوجود . لذلك لا نعجب إذا كانت بلدان الشمال الأفريقى هى أولى البلاد الإسلامية بعد الأندلس التى اتجهت إليها أنظار الغرب الأوربى بغية الاستيلاء عليها والقضاء على الإسلام فيها فتوجهت إليها الحملات الصليبية خلال القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى ، والقرون التالية .

* * *

وبعد ، فقد ألّف ريموند لول مؤلفات ورسائل كثيرة جدًا حتى أن أحد كتاب سيرته أحصاها فبلغت أربعة آلاف عمل(٨٣) . على أن معظمها قد ضاع ، وكانت كتاباته باللغات اللاتينية والقطالونية والعربية(٨٤) . ويقال أن ألفًا منها كان موجودًا فى القرن الخامس عشر الميلادى على أنه لم يكن معروفًا منها سنة ١٧٢١م سوى ٢٨٢ عملاً . وقد جُمع منها ٤٥ عملاً فى عشرة مجلدات ، وظهر منها المجلدان السابع والثامن ، ولا يزال الكثير منها موزعًا بين مكتبات عديدة(٨٥) . ومن كتبه كتاب بعنوان « الرد على اليهود » نشره مع مقدمة وتعليقات خوسيه ماريا مياس . ولكن الكتاب لا يقتصر - كما يظهر من عنوانه - على الرد على اليهود بل يشمل الرد على المسلمين ، ويتكون الكتاب من عدد

كبير من الفصول ، وفى الفصل السادس مناقشة لعقيدة التوحيد فى الإسلام وهى عبارة عن افتراءات وترهات فلسفية يبدو أنها مستمدة من آراء يوحنا الدمشقى وبولس الإنطاكى أسقف صيدا يحاول أن يثبت من خلالها أن العقيدة النصرانية هى الصحيحة(٨٦) . ولكن حسب ريموند لول أن كافة جهوده ومحاولاته التنصيرية باءت بالفشل الذريع .

وجميع كتب ريموند لول يظهر فيها الأثر العميق للمتصوفة المسلمين سيما محى الدين بن عربى وابن سبعين المرسى وغيرهما . وقد درس ذلك التأثير المستشرقان الأسبانيان خوليان ريبيرا وأسين بلاثيوس . كما ولع بالجدل فى كتبه واستخدم القصص فى عرض آرائه ويظهر فى ذلك متأثرًا بالمجموعات القصصية العربية مثل كليلة ودمنة . ومن كتبه « الكافر والعلماء الثلاثة » الذى ألّفه بالقطالونية وترجم إلى عدة لغات وفيه عرض وجهة نظره فى الديانات الثلاث المسيحية واليهودية والإسلام(٨٧) .

* * *

ومن ناحية أخرى فإن الخطط التى وضعها ريموند لول لتنصير المسلمين أصبحت هى المنهاج والدستور الذى سار عليه المنصرون بعده عن طريق التعليم والتدريس وعن طريق الأعمال الإنسانية كالمستشفيات والمؤسسات الخيرية ونحو ذلك مما نجد جذوره فيما وضعه ريموند لول من مناهج وأسس واقتراحات . هذا مع ملاحظة أن تلك الأعمال التى أرسى قواعدها ريموند لول لم تثمر إلا فى الشعوب الوثنية التى تمثل المادة الخام ، من السهل تشكيلها وإكسابها الطابع المطلوب .

الهوامش

(1) Painter, Sidney: A history of the Middle Ages 284 - 1500 . London, 1976, p.290.

(٢) فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى جـ١ ص٢٣١ ؛ وانظر عن معركة العقاب : عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ص٤٩٠ - ٤٩٧ .

(٣) فشر ، جـ١ ، ص٢٣١ - ٢٣٢ ؛ Painter: op. cit. pp. 290 - 294;

(٤) فشر : جـ١ ص٢٣٨ .

(5) Austin, P. Evans : The Albigensin Crusade in Setton, A History of the Crusades, Vol. 2, London, 1969 pp. 277 - 324.

(٦) فشر : جـ١ ص٢٣٧ - ٢٣٨ ؛

(7) The Cambridge Medieval History, Volume VI Victory of the Papacy, London, 1980. p. 727.

(8) Ibid. pp. 727 - 738.

(٩) فشر : جـ١ ص٢٣٤ - ٢٣٥ .

(١٠) المرجع السابق جـ١ ص٢٣٥ ، وانظر نص الإصحاح فى الكتاب المقدس أنجيل متى ، الإصحاح العاشر ٦ - ١٠ .

(١١) فشر : جـ١ ص٢٣٥ .

(١٢) فشر : جـ١ ص٢٣٥ - ٢٣٦ .

(١٣) فشر : جـ١ ص٢٣٦ - ٢٣٧ .

(١٤) فشر : جـ١ ص٢٣٧ - ٢٣٨ ؛

Zwemer, Samuel, M,D,D,F,R,G,S: Raymund Lull First Missionary to the Moslems, London, 1902. p.13.

(١٥) فشر : جـ١ ص٢٣٩ ؛

The Cambridge Medieval History, Vol. VI, pp. 736 - 762 .

(16) Zwemer:op. cit. p. 14.

(١٧) ابن الأثير : الكامل جـ١٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٣ ص٢٥٤ - ٢٥٧ ؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ ، ص٥٨٣ - ٥٨٦ ؛ تاريخ ابن الفرات ، جـ٥ قسم ١ ص٢١٩ - ٢٢٢ ؛ أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص١٠٢ - ١٠٣؛ ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ٧ ص١٩١ - ١٩٢ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ١ ص١٨٦ - ١٨٧.

(١٨) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص١٨٨ .

(١٩) ابن الأثير : الكامل جـ١٢ ص٣٢٣ - ٣٢٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب جـ٣ ، ص٢٥٢ ، جـ٤ ص٩٤ - ٩٦ ؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ ص٦٠٤- ٦٢٠ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص٩٢٤ - ٩٣٨ .

(20) Van Cleve, Thomas, C : the Fifth Crusade, in Setton, A History of the Crusades, Vol.2pp. 415 - 416; Runciman, Steven: A History of the Crusades, Cambride, 1966, pp. 159- 160;

محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ص٥٠ - ٥١ ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ص٣٠٥ - ٣٠٧.

(٢١) أحمد دراج : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، ص٢١ - ٢٥ .

(٢٢) أحمد دراج : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى ، ص١٢ .

(23) Cahen, Claud : La Syrie du Nord Al, Epoque des Croisades, Paris, 1940 , pp. 680 - 681 .

(٢٤) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، جـ٣ ، ص١٧ .

(٢٥) المرجع نفسه ، ص١٦ .

(26) Runciman ; op. cit. Vol. 3, pp. 258 - 259 .

(27) Conder, C.R the Latin Kingdom of Jerusalem, 1099 - 1291 A.D. London, 1897. p.360; Runciman: op. cit. Vol.3 ,pp. 259 - 260

(28) Conder: op. cit. p. 370; Runciman: op. cit. Vol. 3, p 260 .

(29) Lamb, Harold: the Crusades, The Flame of Islam, London, 1931. p. 393 Conder : op. cit. pp 371 - 375 .

(30) Conder: op. cit. p. 376.

(31) Atiya, Aziz, S: The Crusade in the Later Middle Ages, New York, 1970, p.250

(32) Ibid. P.89 .

(٣٣) عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ٢ ص٣٣ .

(34) Zwemer : Raymund Lull First Missionary to the Moslems. P.XI .

(35) Zewemer : op. cit. pp. X - XII .

(36) Ibid . p. XXI.

(37) Ibid . p. XXII.

(38) Atiya : op. cit. p. 77.

(39) Ibid . p. 74.

(40) Zwemer : op. cit. pp. 19 - 28.

(41) Ibid . p. 31 .

(42) Atiya: op. cit. p. 74

(43) Ibid . p.75.

(44) Fine, J : Who's Who in the Later middle Ages, London, 1970. p. 155; Atiya: op. cit. p. 75.

(45) Atiya: op. cit. p 75.

(46) Ibid .

(47) Zwemer: op. cit. pp. 52-53.

(48) Atiya: op. cit. p . 75.

(٤٩) ابن وصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ص٢٤٨ .

(50) Egidi, p: Codice diplomatice dei Saraceni di Lucera 1235 - 1343, Naples, 1917. p33;

على العواجى : جهاد المسلمين ضد الصليبيين فى المغربين الأدنى والأوسط ص٩٠ - ٩١.

(51) Atiya : op. cit. p.76.
(52) Ibid .
(53) Atiya : op. cit. pp.76-77
(54) Zwemer : op. cit. pp. 80 - 96 .

برنشفيك : تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى ، جـ١ ، ص٤٩١ .

(55) Atiya : op. cit. pp. 90-91.

(٥٦) انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، تقديم وتحقيق على السيد صبح المدنى ، ط القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥٧) عن بولس الأنطاكى انظر : يوسف الدبس : تاريخ سورية ، ط بيروت ١٩٠٠م المجلد الخامس ، جـ٣ ص٢٦٢ - ٢٦٣ ؛ منير الخورى : صيدا عبر حقب التاريخ من ٢٨٠٠ ق.م إلى ١٩٦٦م ، بيروت ١٣٥ - ١٣٦ .

(٥٨) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق على بن حسن بن ناصر ، عبد العزيز إبراهيم العسكر، حمدان بن محمد الحمدان، الرياض ١٤١٤هـ ، جـ١ ، ص ٩٨ - ١٠١.

(٥٩) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١٠١ وما بعدها .

(60) Atiya : op. cit. p . 91.
(61) Fine : op. cit. p. 157; Atiya : op. Cit. p. 77.
(62)) Fine : op. cit. p. 156; Atiya : op. Cit. p. 89;

أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ص١٠٤ .

(63) Atiya : op. cit. pp. 77-78.
(64) Gottron, A: Raman Lulls Kreuzzugsideen in Abhanslungen zur Mittleren und Neueren Geschichte, ed. G.V. Below, H. Fink U.F Meinecke, Heft 39. Berlin and Leipzig, 1912, pp. 70-73.

(٦٥) المقصود بالمنظمات الدينية الرهبان غير المحاربين مثل الفرنسيسكان والدومنيكان ، والمقصود بالمنظمات الحربية الرهبان المحاربين مثل الداوية والاسبتارية والفرسان التيوتون .

(66) Gottron : op. cit. p. 73-74; Atiya : op. Cit. p .78-79.
(67) Gottron : op. cit. p. 80; Atiya : op. Cit. p . 79.
(68) Gottron : op. cit. p. 80; Atiya : op. Cit. p .79-80.
(69) Gottron : op. cit. p. 80; Atiya : op. Cit. p .80.
(70) Gottron : op. cit. p. 81; Atiya : op. Cit. p .80.
(71) Gottron : op. cit. p. 80; Atiya : op. Cit..p .80-81.

(72) Gottron : op. cit. p. 81; Atiya : op. Cit. p .81; Runcim:op. cit. vol 3. pp. 431 - 432.

(٧٣) القوادس ، مفردها قادس ، وهى سفينة بحرية كبيرة تشبه البارجة انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قدس ؛ سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية ص٣٦٢ .

(74) Gottron : op. cit. p. 81-84; Atiya : op. Cit. p .81.

على العواجى : جهاد المسلمين ضد الصليبيين فى المغربين الأدنى والأوسط فى القرن الثامن الهجرى ص٧٨ .

(75) Gottron : op. cit. p. 84; Atiya : op. Cit. p .81.

(76) Gottron : op. cit. p. 85; Atiya : op. Cit. p .81-82.

على العواجى : جهاد المسلمين ضد الصليبيين فى المغربين الأدنى والأوسط ص٧٨.

(77) Gottron : op. cit. p. 88; Atiya : op. Cit. p. 83.

(78) Zwemwr : op. cit. pp. 104 - 112; Atiya : op. Cit. p .91-92;

على العواجى : جهاد المسلمين ضد الصليبيين فى المغربين الأدنى والأوسط ص٨١-٨٢ .

(٧٩) على العواجى : المرجع السابق ص٨٢ ؛ Atiya : op. cit. p .93 ;

(٨٠) سعيد عبد الفتاح عاشور : مراجعات لكتابات بعض المستشرقين المحدثين عن الإسلام وحضارته، فى كتاب بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته، القاهرة ١٩٨٧م ص١١- ١٢؛ Zwemer : op. cit. pp. 77-79.

(81) Zwemer : op. cit. pp. 132 - 146; Atiya : op. Cit. p .83-94;

على العواجى : المرجع السابق ص٨٤ - ٨٥ .

(82) Fine : op.cit. p. 156.

(83) Zwemer : op. cit. p. 157.

(84) Ibid.

(85) Ibid.

(86) Lull, Raymund: El Liber Pridicationis Contra Judaeos Primera Edicion Critica con Introduccion Yontas Por Jose Ma Millas Vallicrossa (Consejo Superior de Invesigacines Cientificas Instituto Arias Manano) Madrid - Barcelona 1957.

(٨٧) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ص١٠٥ .

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة :

- **أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية** : دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) القاهرة ١٩٧٠ م .

- **ابن الأثير** (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :

الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦ م عن طبعة ليدن ١٨٥١ - ١٨٧٦م .

- **أحمد دراج** :

١ - المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى القاهرة ١٩٦١ م .

٢ - وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، القاهرة ١٩٦٨م .

- **ابن أيبك الدوادارى** (أبو بكر عبد الله بن أيبك ، ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م) :

كنز الدرر وجامع الغرر . الجزء السابع وعنوانه ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

- **برنشفيك** : تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م. ترجمة حماد الساحلى ، بيروت ١٤٠٧هـ .

- **ابن تيمية** (أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ، ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م):

١ - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، تحقيق على بن حسن بن ناصر ، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ، حمدان بن محمد الحمدان ، الرياض ١٤١٤هـ .

٢ - الرسالة القبرصية « رسالة من ابن تيمية إلى ملك قبرص » القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

- **جوزيف نسيم** : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، جـ٣ ، هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة ، بيروت١٩٨١م.

- **سبط ابن الجوزى** (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى الشهير بسبط ابن الجوزى ت ٣٥٤هـ/١٢٥٦) :

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ٨ حيدر أباد ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

- **سعاد ماهر** : البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ١٩٦٧م .

- **سعيد عبد الفتاح عاشور** :

١ - الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٨م .

٢ - مراجعات لكتابات بعض المستشرقين المحدثين عن الإسلام وحضارته ، فى كتاب بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته ، القاهرة ١٩٨٧م .

- **أبو شامة** (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) :

الذيل على الروضتين ، بيروت ١٩٧٤م .

- **عبد الرحمن الجيلالى** : تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ١٩٦٥م .

- **عبد الرحمن على الحجى** : التاريخ الأندلسى ، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

- **عبد الله الترجمان الأندلسى** : (كان اسمه قبل إسلامه انسلم تورميدا ، ت٨٢١هـ/ ١٤٢٠م) : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، تحقيق محمود على حماية ، القاهرة ١٩٨٤م .

- **على بن محمد العواجى** : جهاد المسلمين ضد الصليبيين فى المغربين الأدنى والأوسط فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

- **ابن الفرات**(ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن على ، ت٨٠٧هـ/١٤٠٤) :

تاريخ ابن الفرات ، جـ٥ قسم ١ تحقيق حسن محمد الشماع ، البصرة ١٣٨٩ - ١٣٩٠هـ/ ١٩٦٩م - ١٩٧٠ .

- **فشر . هـ . أ . ل** : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٦٩ .
- **محمد مصطفى زيادة** : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
- **محمود سعيد عمران** : الحملة الصليبية الخامسة « حملة جان دى بريين على مصر » ٦١٥ - ٦١٨ هـ /١٢١٨ - ١٢٢١م الإسكندرية ١٩٧٨م .
- **المقريزى** (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر ، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق محمد مصطفى زيادة جـ١ القاهرة ١٩٥٦م.
- **ابن منظور** (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى ، ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- **منير الخورى** : صيدا عبر حقب التاريخ ، بيروت ، ١٩٣٠م .
- **ابن واصل** (جمال الدين محمد بن واصل ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠م ، جـ٤ تحقيق حسنين محمد ربيع القاهرة ١٩٧٢م .
- **يوسف إلياس الدبس** : تاريخ سورية ، بيروت ١٩٠٠م .

ثانيًا : المصادر والمراجع الأجنبية :

- **Atiya, Aziz, S** : The Crusade in the Later Middle Ages, New York, 1970.
- **Austin, P. Evans** : The Albigensin Crusade, in Setton, A History of the Crusades, Vol. 2, London, 1969
- **Cahen, Claud**:La Syrie du Nord Al, Epoque des Croisades, Paris, 1940 .
- The Cambridge Medieval History, Volume VI Victory of the Papacy , London, 1980.
- **Conder, C.R** : The Latin Kingdon of Jerusalem, 1099 - 1291 A.D London, 1897.

- **Egidi, P** : Codice Diplomatice dei Saraceni di Lucera 1343, Naples 1917.

- **Fine,J** : Who's who in the Later Middle Ages, London, 1970.

- **Gottron' A** : Ramon Lulls Kreuzzugsideen in Abhandlungen Zur Mittleren und Neveren Geschichte, ed. G.V. Below, H. FinkeU.F. Meirecke, Heft 39, Berlin and Leipzig, 1912.

- **Lamb, Harold** : The Crusades, The Falme of Islam, London, 1931

- **Lull, Raymund** : Eliber Predications Contro Hudaeos Premera Edicion Critica con Introduccion Ynotas Por Jose Ma Millas Vallicrossa (Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Instituts Arias Mantano) .Madrid - Bercelona, 1957.

- **Panter, Sidney** : A History of the Middle Ages 284 - 1500, London 1976.

- **Runciman, Steven** : A History of the Crusades, Cambridge, 1966.

- **Van Cleve, Thomas, C** : The Fifth Crusade in Setton, A History of the Crusades Vol. 2, London, 1969

- **Zwemer, Samuel, M.D.D.F.R.G.S** : Raymund Lull, First Missionary to the Moslems, London. 1902